The American Coptic Association
Christians Of Egypt
P.O.Box 9119 G.L.S.
Jersey City, NJ. 07304

أبريل ١٩٩٤

The Coptic Cultural Center
582 Bergen Avenue
Jersey City, N.J. 07304
Tel : (201) 451-0972
Fax : (201) 239-6135

فى جذور الارهاب والتطرف والتعصب

د. عبد القادر خليف
أمين لجنة الوحدة الوطنية بأسيوط

تعليقاً على الحرب العالمية قالت جدتى يرحمها الله «ما يصحش نسيب الناس يقتلوا بعض لازم أبوك وخالك ياخدوا كبارات البلد ويصالحوا الناس اللى بيتحاربوا» كانت تلك رؤيتها لحل الخلاف والمعارك فى تصور ان ماجرى فى العالم يجرى مثله فى قريتنا الصغيرة حيث يكون الحل على نحو ماتقول غير مدركة للفروق بين الحالتين .

لم يكن الحل الذى تراه جدتى للحرب العالمية ممكناً !

وبنفس الرؤية الساذجة نجد بيننا من يرى العودة الى الماضى السحيق لأبعد من أربعة عشر قرنا لندبر أمور حياتنا بنفس الاسلوب الذى كانت تدار به امور المسلمين الأوائل دون أى تصرف يعمل على مداواة الفروق الهائلة بين الحالتين فى الزمان والمكان والانسان : فى السياسة حكم مطلق لرجل واحد هو خليفة الله فى الارض ، فى الاقتصاد انعزال عن العالم الكافر منكفئين على الداخل فى شكل تجارة لاتعدو مبادلات بدائية ، فى القانون اقامة الحدود بالعقاب الجسدى بكل صوره ، فى الاجتماع باضطهاد المرأة وتقليص دورها فى الحياة ، فى الثقافة بتحريم كل صور الفنون من رسم ونحت وموسيقى وتدمير الثروة الفنية التى أبدعها الانسان على هذه الارض منذ كانت الحياة ، فى العلوم بتحجيم حركة العلم خاصة فى مجالات دراسة الفلك وعلوم الحياة . وأخيرا فى معاملة الاقباط كمواطنين من الدرجة الادنى ودعوتهم للدخول فى الاسلام أو دفع الجزية وهم صاغرون .

لاتختلف فى هذه الدعوة طائفة من الاسلاميين عن الاخرى مهما تظاهرت بالتزام الشرعية ، فى اصرار على الخلط بين العقيدة التى تصلح لكل زمان ومكان وبين شريعة الحياة المتغيرة دوما. الايمان بالله والدعوة الى الخير والنهى عن الشر قضايا تصلح لكل زمان ومكان بينما لابد أن تتغير شريعة الحياة بين يوم ويوم وبين مكان ومكان حيث لايصح التعميم فى تطبيق نصوص واتباع سنن وضعت لتتعامل مع ظروف شديدة الخصوصية .

لقد تابعت عن كثب صور التعصب القبطى منذ بدأت عملى فى جامعة اسيوط فى أوائل الستينات ، وتعاملت مع التطرف الاسلامى منذ ظهوره فى السبعينيات .

لم تكن للعين ان تخطئ مظاهر التعصب القبطى فقد كانت أوجه النشاط فى المدينة قبطية الهوية : كل الصيدليات وغالبية الأطباء والمهنين والتجار وجميع العاملين بمؤسسات القطاع العام الكبرى . وكأن حكم البداهة يقضى بأن هذه حالة لابد ان تكون وليدة تدبير وتخطيط لاستحالة حدوثها تلقائيا فى مجتمع غالبيته من المسلمين . وجاء الرد على هذا التعصب فيما بدا لنا كأمر طبيعى بقيادة جامعة اسيوط وتوجيهات الدولة باستبعاد الاقباط كلما أمكن من تعيينات اعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة . واتخذت أنشطة المتطرفين الاسلاميين العنف وسيلتها منذ البداية والدولة متمثلة فى الحكم المحلى وإدارة الجامعة تغض الطرف عن ممارساتهم غير المشروعة وتشجعهم وتمولهم وتدربهم على استعمال السلاح لضرب المعارضة الشيوعية

والاشتراكية واقامة توازن فى مواجهة التعصب القبطى . وساد الجامعة قانون الغاب فأخذ المتطرفون يعتدون على زملائهم وأساتذتهم ومنعوا الانشطة الطلابية المختلفة وفرضوا سلطانهم على المدينة يغيرون بالعنف والارهاب مايرونه منكرا. وانهارت القيم فى اطار لعبة سياسية اختلت حساباتها فكانت الكارثة بالاغتيال المأساوى لرئيس الجمهورية وسيطرة الفوضى الدموية السوداء على مدينة اسيوط باحداث عيد الاضحى حين احتلت الجريمة المدينة وقتلت وأصابت مئات من رجال الشرطة والمدنيين ولم يكن من قبيل الصدفة أن الجناة فى هذه الكارثة هم من طلبة الجامعة خاصة من كليتى الطب والهندسة حيث يجدون التأييد والتحريض من اساتذتهم المنتمين الى جماعة الأخوان المسلمين غير المشروعة . كان الجناة هم نفس الطلبة الذين دللتهم ادارة الجامعة وأغدقت عليهم الاموال على امتداد سنوات سابقة وكان الجناة هم نفس الطلبة الذين استولوا على المدينة الجامعية وضربوا زملائهم الاقباط بالجنازير وقيدوهم بالسلاسل واتخذوهم رهائن الى أن تم الافراج عن زملائهم بمدينة المنيا . ومرت الحادثة البشعة دون مساءلة – ذلك ان الاسلاميين قد اخترقوا جميع المجالات فى التعليم والامن والقضاء وغيرها ، وكان يكفى – ومازال – أن تكون المرأة سافرة – مسلمة كانت أو قبطية – لتتعثر قضاء حاجاتها اليومية فى المصالح والمؤسسات وينتقص حقها فى التقويم .

وعلى غير مايدعى كثيرون فقد حدث خلل خطير فى معايير التعامل بين طائفتى الامة أرصد بعض صوره المفجعة التى عاينتها فيما يلى :

الواقعة الاولى : صدمنى صديق الدراسة أديب انطون اثناء حركتنا الطلابية من أجل جلاء الاستعمار فى الاربعينيات حين صارحنى بانه لا يوجد قبطى يرحب بجلاء الانجليز لاننا لاننسى عدوان الاخوان المسلمين على كنائسنا وحرق كنيسة محرم بك بالاسكندرية لم يكن ببعيد .

الواقعة الثانية : انكر طبيب قبطى مسئول عن وحدة نقل الدم بالمستشفى وجود دم لمريض مسلم كما قام طبيب من الاسلاميين بنفس التصرف حين كانت حاجة الدم لمريض قبطى ثبتت الواقعة حين حققتها شخصيا من موقعى كمدير لمستشفيات جامعة اسيوط فى ذلك الحين .

الواقعة الثالثة : هدد مدرس بكلية الطب مدرسة ابنته القبطية حين قدمت لابنته نصيحة لم يستسغها معترضا على ارتدائها حلية بها الصليب مشيرا الى انها تتزين بما يمثل مخالفة للعقيدة الاسلامية فى بلد اسلامى .

الواقعة الرابعة : اثناء انعقاد مؤتمر القسم برئاستى سنة ١٩٨١ وجه الىّ طالب قبطى سؤالا عن سبب عدم حصول اى طالب مسيحى على درجة شرفية فى امتحان البكالوريوس وشرحت لابنائى الطلبة بالصدق كله جسامة هذا الواقع المشين الذى يجب محاصرته مبينا لهم اسبابه التاريخية وذلك ان مدرسة الطب المصرية الحديثة بدأت مع مطلع القرن على ايدى الاساتذة الانجليز الذين وجدوا فى الاقلية القبطية ضالتهم لتطبيق مبدأ الاستعمار الاشهر : فرق تسد فميزوهم عن المسلمين وتقلد الاستاذية فى مدرسة الطب بعد جيل المستعمرين اساتذة من الاقباط اذاقوا زملاءهم المسلمين العذاب والمهانة مما دعا مستقبل لاحق الى الرد بتعصب الاغلبية . وتفاقم التعصب بين الجانبين ليصبح إحدى السمات الكئيبة لكليات الطب فى مصر .

الواقعة الخامسة : ترصدها ثلاث ملاحظات على محاكمة مرتكبى مذبحة عيد الاضحى سنة ١٩٨١ فى أسيوط :

١– كانت المحاكمة أقرب الى محاكمة الدولة والمجتمع وبيان عدم التزام الحكم بالشريعة الاسلامية ، أفاض فى ذلك شهود النفى من الدعاة الاسلاميين فى تعاطف غير مبرر على الجناة .

٢– بناء على ذلك استعملت المحكمة الرأفة فلم يصدر حكم واحد بالاعدام على أى من المتهمين الذين ثبتت فى شأنهم الجرائم التى ارتكبوها بعد تدبير انتهت بهم الى قتل اكثر من مائة من رجال الشرطة والمدنيين .

٣– ان رئيس الجمهورية – على غير عادة معلومة – قد اتصل برئيس المحكمة مهنئا له بسلامة العودة من رحلته

العلاجية فى الخارج أثناء المحاكمة .

ويتبقى ان نرصد – بأشد القلق – غيبة الاشراف الفعال للدولة على مدارس الاسلاميين التى يقضى فيها التلاميذ فترة التعليم العام منذ الطفولة ، يتم خلالها تشكيل شخصياتهم وبرمجة عقولهم ليتخرج منها جيل من الروبوتات السلفية لاسبيل الى التعامل المتحضر معهم . كما نرصد أخيراً مايتيحه الاعلام الرسمى من مساحات شاسعة للاسلاميين فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون يدعون من خلالها ليل نهار الى العودة الى أساليب الزمن السحيق التى سادت مجتمع المسلمين الاوائل .

ان هذا الموقف من الدولة يناقض سياستها وصفتها الاساسية كدولة مدنية يتساوى فيها المواطنون على اختلاف عقائدهم ، وهو موقف لايمكن فهمه الا فى اطار احتمال من اثنين :

الاول : ان الاستجابة لضغوط الاسلاميين قد تؤجل الصدام الى مابعد عهد الحكام الحاليين من منطق أنا ومن بعدى الطوفان .

والثانى : أن يكون الاسلاميون قد اخترقوا مواقع الحكم والسيطرة عليها خاصة فى مجالات الاعلام والتعليم والقضاء.

ان كل مااثير من اسباب للتطرف والارهاب ليست سوى عوامل مساعدة لاتحل مداواتها المشكلة التى تتطلب مواجهة حاسمة مع جذورها الممثلة فى علاقة الدين بالدولة.

لقد علمتنى تجارب الحياة ان اتخاذ القرار السليم فى المشاكل الصعبة يحتاج الى أن اضع نفسى موضع الغير صاحب المشكلة ، أرى بعينه وافكر بعقله وأحس بقلبه. ويمثل الاسلاميون المتطرفون والاقباط المتعصبون طرفى المشكلة التى تواجه الامة رغم كونهم أقلية عددية خارج الاغلبية الصامتة من القواعد العريضة للامة ومثقفيها الاحرار.

ولنر كيف يكون الحال بتقمص الشخصيتين ؟

فى عين وفكر وقلب الاسلامى نجد ان الدعوة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عين على كل مسلم لا يقتصر على سلطة الدولة والا لما كان هناك محل للعجز باليد والاكتفاء باللسان والقلب . وكيف لاتكون الدعوة للاسلام بكل الوسائل سلمية وغير سلمية وقد انتشر الاسلام بغزو بلاد الدنيا يدعو شعوبها للدخول فى الاسلام أو دفع الجزية وهم صاغرون . وهل هناك مفر من تطبيق الحدود ونصوص القرآن وصحيح السنة لاتضع قيوداً على تطبيقها. ان القول بأن المجتمعات المعاصرة لاتتقبل احكام الاسلام يمثل عيوبا فى المجتمع يجب ازالتها تمكينا لاحكام الدين المقدسة .

ماذا يؤخذ علينا كشباب مسلم حين نجاهد فى سبيل الله بكل السبل سلمية وغير سلمية .

ونصل بذلك الى طريق مسدود لا يستطيع جدل او نقاش اختراقه وفى عين وفكر وقلب القبطى اجدنى مؤمنا بأن المواطنة شديدة الحساسية لاتحتمل اى انتقاص او تمييز بسبب العقيدة الدينية او بأى سبب آخر . لا اقبل مايتيحه الاعلام الرسمى من مساحة شاسعة للاسلاميين ينفثون فيها من دعوتهم سموما ضد الاقباط والدين المسيحى بينما لاتتاح للاقباط سوى ساعة كل عام ينقل فيها التليفزيون صلاة عيد القيامة بما يمثل اقل من واحد فى الالف من المساحة المتاحة للاسلاميين . لا اقبل وجود مدارس تابعة للدولة يشرف عليها الاسلاميون والازهر لاتسمح نظمها بقبول غير المسلمين من ابناء الأمة الواحدة ، كما لايطمئننى ان يكون الاسلام هو المصدر الوحيد للتشريع فى دستورنا لا احتمل حرب الميكروفونات ليل نهار تزعق فى نجد يفتقد الخشوع تعرض بالاقباط لا ترعى مريضا أو عاجزا بما تمثله من تلوث ضوضائى وخروج على القانون لاتتحرك الدولة لمواجهته . أرفض كمواطن مصرى اى انتقاص ولو فى الشكل من حقوق المواطنة والا احسست بالغربة فى وطنى فتركته مهاجراً كما فعل كثيرون او اعددت نفسى للمواجهة.

ونصل مع التعصب القبطى الى نفس ما وصلنا اليه مع

التطرف الاسلامى الى طريق مسدود لايستطيع جدل او نقاش اختراقه .

واذا كانت هذه الصورة الكئيبة تمثل الواقع فان خطر الصدام يصبح ماثلا . وحين تقع الواقعة – لاقدر الله – فان مأساة لبنان على بشاعتها سوف تبدو لعب اطفال مقارنة بما يمكن أن يصيب مصر بحجمها الأكبر وشعبها الأكثر ومنزلتها الأرفع بين الامم ..

ويبقى واجب الجميع – الشعب والدولة – اقتلاع المشكلة من جذورها فى حسم لاسبيل فيه الى أى تردد ، وذلك بتنحية الدين عن حركة المجتمع ، ليصبح الدين لله والوطن للجميع قولا وفعلا وليكن ذلك هو شعار الدولة وأساس دستورها – دولة تؤمن بالله وترعى العقائد الدينية وحرية ممارستها للجميع ، والتخلى عن الموقف الغامض بأن تعلن رسميا بأن تطبيق الشريعة الاسلامية السلفية غير ممكن، لعدم ملائمته لظروف المجتمع والناس كما تعلن عن فصل الدين عن الدولة كما فعلت امم الغرب فى القرن السادس عشر ، لتتخذ من ذلك الموقف طريقها نحو التقدم والتحضر .

ويبقى للدين طريقه : الايمان والفطرة ، وللدولة طريقها : العلم والعقل والسعى بلا هوادة لإصلاح وتعديل المسارات التى اختلت بالتعصب فى جميع المجالات فى ادراك عميق ومسئول – أن نكون أو لا نكون .

(جريدة الاهالى المصرية فى ٢٩ ديسمبر ١٩٩٣)

تعليق الهيئة القبطية

فى هذه المقالة ذكر الدكتور عبد القادر خليف بأن «رئيس الجمهورية – على غير عادة معلومة – قد اتصل برئيس المحكمة مهنئاً له بسلامة العودة من رحلته العلاجية بالخارج» . «ولم يصدر حكم واحد بالإعدام على أى من المتهمين الذين ثبتت فى شأنهم الجرائم التى ارتكبوها بعد تدبير انتهت بهم الى قتل أكثر من مائة من رجال الشرطة والمدنيين» . هذا إثبات ماكررته الهيئة القبطية بأن الرئيس مبارك وحكومته النازية وراء الإرهاب ضد الأقباط ولم يتحركوا الا بعد محاولتهم للاستيلاء على الحكم والإعتداء على السياح الأجانب . متى يستيقظ قادة الأقباط فى مصر والخارج ؟ للأسف يلوذون بالصمت بينما يتعرض الشعب القبطى للمذابح التى تتكرر كل يوم ، وآخرها مذبحة دير المحرق بأسيوط .

أخى القبطى

أرسل تبرعك لتساعدنا فى نشر هذه الحقائق على العنوان التالى

The American Coptic Association

Christians Of Egypt

P.O.Box 9119

Jersey City, NJ. 07304